

المنطقة بغير ما تشتهي أهواء الراغبين فيه، ولأسباب شتى متعددة، فيبقى لبنان وحيداً في قاطرته ليحقق مصر، ولبنان بعيداً عن محيطه العربي، وفي ذلك من الضرر الاقتصادي والسياسي عليه الشيء الكثير، مما قد لا يسمح بقيام له بعد ذلك، ولا بدور يتعدى حدود المحمية الإسرائيلية.

وبغض النظر عن صحة هذا الهدف أو عدمها، ومع الإغضاء عن الانتقادات الموجهة إليه برغم صوابيتها، فإن الأكيد هو أن هاجس إخراج المحتل الإسرائيلي بأقصى سرعة ممكنة يحكم تصرفات الطرف اللبناني، لإدراكه أن الوقت لا يعمل لصالحه على الإطلاق، وأن كل يوم يمضي إنما هو — بنتائجه الفعلية على الأرض — ثقل جديد يرجح كفة المفاوضات الإسرائيلية في ميزان التناقض الإسرائيلي — اللبناني، لأسباب سبق شرحها في ما سلف.

لكن الهدف الأهم الذي يسعى إليه المفاوضات اللبناني ويرمي إلى نيله من وراء كل ما يبدو على سطح الأحداث، إنما هو الإبقاء على دور لبنان في محيطه العربي، برغم ما قد يقدم عليه من تنازلات. وانطلاقاً من ذلك تسعى السياسة اللبنانية الرسمية وتجهد لكي تطبق المثل الشعبي المعروف والقائل: «لا يموت الذئب ولا يفنى الغنم». فهي من جهة، لا تريد للاحتلال الإسرائيلي أن يبقى في لبنان، فيحصل مزيداً من التفقيت والشرذمة في جسده، وهي من جهة أخرى، لا ترغب في خسارة المحيط العربي الذي هو مداها الاقتصادي والسياسي الحيوي الذي لا تستغني عنه. وإذا كانت المملكة العربية السعودية تستورد من لبنان وحدها ما يزيد عن نصف صادراته، ومنها يرسل اللبنانيون العاملون ملايين الدولارات مما يصحح العجز في ميزان مدفوعاته، وإذا كانت اليوم لا تني ترسل الإشارات ذات المغزى السياسي عبر تعليقات إذاعتها الرسمية وافتتاحيات صحفها عن وجوب عدم انفراد لبنان في قبول صلح منفرد يضطر إلى دفع ثمنه غالياً، فإنها قد حذرت بما لا يدع مجالاً للشك بأنها ستعاقب على ذلك عند الضرورة، عندما أوقفت استيراد بعض أنواع الصادرات اللبنانية بداعي الخوف من تسرب البضائع الإسرائيلية المهربة عبرها. كذلك فإن سوريا لا تغفل هي الأخرى عن التلويح بأضرار معاهدة صلح مع إسرائيل — لأسبابها الخاصة أيضاً — ولا حاجة هنا للإشارة إلى تأثيرها على مجمل حياة لبنان الاقتصادية والسياسية بحكم موقعها الجغرافي، الذي تمر ثلاثة أرباع التجارة والترانزيت عبره، وهما عمادا الاقتصاد اللبناني، هذا دون الحديث عن باقي الآثار والنتائج.

وأستناداً إلى هذا الهدف الذي يسعى إلى عدم التفريط بالعلاقات مع المحيط العربي برغم الاستعداد لتقديم ما أمكن من التنازلات، وانطلاقاً من سياسة «لا يموت الذئب ولا يفنى الغنم» المجرى لبنان على سلوكها، يصبح موقفه التفاوضي رهين خطوات مترددة — من منطلق نظري بحت، هذا إذا وجد مثل هذا المنطلق — وهذا سيدفع به أكثر إلى الاعتماد على الولايات المتحدة الأميركية وحدها لإنقاذه من هذا المأزق، كما أن هذا سيجعله أكثر فاعلاً رهين قراراتها، مع ميل إلى التنازل عند اللزوم، في سبيل هدف يعلنه الموقف الرسمي وهو استرداد الأرض.